بسم الله الرحمن الرحيم

الرد الوجيز

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يـوم الـدين، والصـلاة والسـلام على المبعـوث بالـدعوة إلى صـراط الله المسـتقيم، صـراط الـذين أنعم الله عليهم غـير المغضوب عليهم ولا الضالين... وبعد،،،

* مدخل:

فقد كتب الأخ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي كتاباً سماه (جماعة واحدة لا جماعات، وصراط واحد لا عشرات.. حوار مع الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق)..

ولما كـان كتابه هـذا مبنيـاً على مجموعة من التهم الباطلـة، والـرمي بالعظـائم، وتأصـــــيل منهج باطل في النقد والحكم على أهل الإســــلام فقد أحببت أن أكتب توضـيحاً مـوجزاً لبيـان حقيقة الخلاف بيـني وبين الشـيخ ربيع بن هـادي المـدخلي -سامحه الله-،وبيان ما في منهج الشـيخ ربيع بن هـادي من مخالفة منهج أهل السـنة والجماعة في العدل والإحسان والدعوة إلى الله.

وهذا التوضيح الموجز هو مقدمة إن شاء الله لرد تفصيلي على كل ما أثـاره الشـيخ ربيع من قضايا، وما وضعه من أصول تخالف أصول أهل السنة والجماعة.

وكـان من جملة التهم والمطـاعن والأحكـام الظالمة الـتي أطلقها الأخ الشـيخ ربيع عليّ قوله:

- •0 قـال: "هـذه دعـوة من عبـدالرحمن لإقـرار الباطل والبـدع والتصـوف والتعطيل لأسماء الله وصفاته" (ص/145)
- وقـال: "ونسي عبدالرحمن أنه بهـذا الأسـلوب يـدافع عن نفسه وعن أهل البـدع والباطل أسلوب دحلان والكوثري وأمثالهما من أهل الباطل" (ص/31)
- وقال: "إن عبدالرحمن يحترم رؤوس أهل البـدع المعاصـرين ورؤوس أهل الفتن الحزبيين" (ص/ 194)
- وقال: "الخلاصة أن عبدالرحمن بن عبـدالخالق شـديد الحنق على علمـاء المنهج السلفي وطلابـه، ومن هذا المنطلق كثر طعنه فيهم ظلماً واستمر على هـذا الطعن والتهويش والتشويش ما يقارب ثلاثين عاماً" (ص/194)
- وقال: "لم يقتصر عبـدالرحمن على السـلفيين وتشـويهه لهم بل تجـاوز ذلك إلى تشويه السلفية نفسها" (ص/196)
- وقـــال: "فمنذ تسع وعشــرين ســنة يســدد ضــرباته وطعونه إلى أتبــاع المنهج السلفي علماء كباراً وطلاباً، ويشهر بهم وينسب إليهم ما هم بـراء منه في عـدد من كتبه وأشرطته" (ص/118)

- وقال: "فـوا حسـرتاه على عبـدالرحمن عبـدالخالق، وعلى من ينخـدع بتصـرفاته الباطلة التي تهز المنهج السلفي، وتؤذي أهله وتخدم البدع وأهلهـا، وتشـيدها، وتلمع أهلها " (ص/151)
- وقـال: "فهو يطعن ويسـخر بعلمـاء أهل السـنة وأتبـاعهم والمنهج السـلفي منذ تخرج من الجامعة الإسلامية إلى يومنا هذا" (ص/19)
- قـال: "ونــرى أنه إلى الآن في مخاطبة الشـيخ ابن بـاز وهيئة كبـار العلمـاء لا يعترف بخطئه " (ص/12)
- ويقــول: "والظـاهر من مواقفه أنه لا يــزال مصــراً على رأيه وإلا لأعلن تراجعه وبراءته منه " (ص/182)
- ويعود فيقول: "ويدل على أن تراجعه للشيخ ابن باز فقط وراءه ما وراءه !!"
- ويشكك فيقول: "لا يمكن أن يقبل عاقل استوعب هذه الحقيقة التي عاش عليها عبـدالرحمن هــذا الـزمن المديد والـدهر الطويل لا يمكن أن يقبل مثل هـذا العـذر السياسي ولا يمكن أن ينطلي عليه " (ص/134)
- ويقول: "ثم إن اعتذارك عما ذكــره لك الشـيخ من شـريط المدرسة السـلفية لا يكفي فإن الطعن واسع وعميق وقام على أصول لو رآها الشيخ ابن باز وغيره ورأوا طعونك الأخرى في كتبك لما قبلوا عذرك السياسي" (ص/34)
- ويقول أيضاً: "وقد أعلن عبدالرحمن تراجعه وندمه بسبب ضـغط الشـيخ ابن بـاز وضغط الواقـع من حولـه، وإدراكه أن تصـميمه علي رأيه في هـذه المسـألة وغيرها سيدمره ففي تراجعه نظر" (ص/132)

وذكر في الحاشية أن هذا التراجع (من الوعود التي يخادع بها)!!

- ويقول أيضاً: "الآن يا عبدالرحمن تتواضع وتتنازل لهيئة كبـار العلمـاء بعد أن كنت شامخ الأنف رافع الرأس لا تقبل نصح الناصحين" (ص/12)
- حيث يقول: "فأخطاء عبـدالرحمن كثـيرة وخطـيرة وليست مؤلفاته كلها ولا جلها في إطار المنهج السلفي" (ص/7)
- ويقول: "وأقسم بالله لو أن شخصاً واحداً تفرغ يـومين فقط لقـراءة بعض كتبك لوجد فيها ما يدينك أشد الإدانة " (ص/9)
- ويقول: "فرأيت وسمعت ما تشيب له النواصي من تجنيه على السلفيين وتشويه السلفية نفسها ودفاع عن أهل الباطل" (ص/5)

ولما كانت هـذه التهم والأحكام الظالمة هي ثمرة ونتاج لمنهج الشـيخ ربيع في النقد كما جـاء في كتابه (منهج أهل السـنة والجماعة في الحكم على الرجـال والطوائف والفرق)..

فإنه قد تـوجب بيـان ما في هـذا المنهج من المنافـاة لمنهج أهل السـنة والجماعة الحق، وبيان حقيقة ما رماني به الشيخ ربيع هداني الله وإياه إلى الحق والصواب...

والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يسلكني في عباده الصالحين، وأن يهـديني إلى صـراطه المسـتقيم صـراط الـذين أنعم الله عليهم من النبـيين، والصديقين، والشهداء والصالحين، وأن يلحقـني بهـم غـير فـاتن ولا مفتـون.. اللهم إيـاك نعبـد، ولك نصـلي ونسـجد، وبك نسـتعين، ولا حـول ولا قـوة إلا بك يا رب العالمين، أنت حسبي ونعم الوكيل.

وكتبه عبدالرحمن بن عبدالخالق

الثلاثاء11من شعبان 1416 هـ الموافق2/1/1996م

* من هو الشيخ ربيع؟

أنا بحمد الله أعـرف أخي الشـيخ ربيع بن هـادي، فقد كنا زميلي دراسة في الجامعة على مدى أربع سنوات في كلية الشريعة، ولا نجلس إلا متجـاورين في مقعد واحـد، واستمرت الصداقة والأخوة بيننا أكثر من ثلاثين سنة.

والشيخ ربيع بن هادي رجل متواضـع، أليف المعشر صـاحب عبـادة، وحميـة، وغـيرة شديدة على الدين يحب الخير، ويبتغي نصر الإسلام، وعزة المسلمين، ولكنه مع كل هذه الصفات الطيبة، هو رجل قصير النظر، قد يريد إصلاح شيء فيفسده، وقد يريد إزالة منكر صغير فيقع فيما هو أكـبر منـه.. ومثله كمثل الـذي تقع ذبابة على طعامه فيأخذ عصاً غليظة ليقتلها بهـا، ثم يهـوي عليهـا، فيفسد ما أمامـه، وكالـذي يريد أن يعالج شيئاً من انحراف ولده، فيضـربه في مقتل فيقضي عليـه، وهو باصـطلاح أهل الحديث (شيخ)!!

* حقيقة الخلاف بيني وبين الشيخ ربيع بن هادي:

الخلاف بيني وبين الشيخ ربيع -سامحه الله- الـذي أظهـره في كتابه هـذا ليس على أصل من أصول الإسـلام، ولا عقيـدة من عقائـده، بل ولا يوجد قضـية علمية واحـدة أنكرها علي في كتابه.

وإنما الخلاف بيني وبينه، بل بينه وبين عامة علماء السـنة المعاصـرين إنما هو حـول السياسة الشـرعية الـواجب اتباعها اليـوم، وخاصة نحو جماعـات الـدعوة إلى اللـه، والـدعاة والمصـلحين وكـذلك السياسة الشـرعية في الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، وكيفية التعامل مع عموم المسلمين.

فبينما كنت وما زلت أرى -بحمد اللــه- أنه يجب النصح لأهل الإســلام جميعــاً، وأن نحب كل عامل للإسلام وداعٍ إليه، ونؤيده فيما يقوم به من خير، وننصح له، ونحـاول إبعاده عما عنده من الشـر والبدعة، ونعمل ليكـون المسـلمون جميعـاً صـفاً واحـداً وأمة واحدة، وأن يتعاون الجميع على البر والتقوى، ويتمسـكوا بحبل الله جميعـاً، ولا يتفرقوا.. بينما كنت أرى ذلك بحمـد الله وأعتقده، ويراه كل مسلم ناصح لأمته.

تجد الشيخ ربيع يرى وما زال وجوب قطع كل جماعة تـدعو إلى الله وكل داع يـدعو للإسـلام إذا تلبس بشـيء من البدعة أو الشـر، وأنه لا يجــوز أن يقبل منه إحسـان قط، ولا جهاد في سبيل الله، ولو نصر الله به الدين، وأعز به الأمة.

ومن أجل ذلك يرى أن جميع جماعات الدعوة القائمة إلا من تسـمى باسم السـلفية من تبليغ وأخوان وغيرهم، يجب أن يقطع عملهم من الأرض كلها، وأن يحاربوا حرب الكفار، بل تقـدم حربــهم على حـرب الكفـار من اليهـود والنصـارى لأنهم أخطر من اليهود والنصـارى، ويجب أن تمنع كتبهم، وينفر النـاس عنهم، ولو أدى ذلك إلى بقـاء النـاس في معاصـيهم وفسـقهم، وفجورهــم، فهو أفضل لهم من أن يهتـدوا بهـدى جماعات الدعوة، أو يلتفوا على أحد من هؤلاء المصلحين والدعاة الذين يرى الشـيخ ربيع أنهم تلبسوا ببعض البـدع!! وأنهم قد أصـبحوا أداة هـدم وإفسـاد، وأن ضـررهم أكبر من منفعتهم.

وأصبح الشيخ ربيع يرى أن حرب جماعات الدعوة، والـدعاة والمصـلحين دينـاً يـدين الله به، وجهاداً عظيمـاً دونه كل جهـاد.. وقربة إلى الله أفضل من التقـرب بالصـلاة والذكر وقراءة القرآن..

وقد وجد بعض الـذين أزعجهم عـودة النـاس إلى الـدين والـتزامهم الإسـلام منهجـاً، وطريقاً على يد جماعـات الـدعوة ضـالتهم في الشـيخ ربيع بن هـادي -سـامحه الله وعفا عنه- فشرعوا يأزونه أزاً إلى حـرب الـدعاة، والمصـلحين، وجماعـات الـدعوة، فيجمعـون له سـقطات هـؤلاء الـدعاة، والمواقف السـيئة لبعض جماعـات الـدعوة، ويصيحون به: أنظر ماذا قال فلان، وانظر ماذا كتب فلان، وانظر هذه الجماعة تقول كذا.. وتلك تقول كذا..

وكلما عـرض عليه موقف سـيء لجماعة من هـذه الجماعـات، أو ذكر له خطأ عـالم من هؤلاء العلمـاء، وداعية من دعـاة الإسـلام ازداد الشـيخ ربيع غضـباً وامتلأ صـدره حنقـاً وغيظـاً.. وقـام في إنكـار هـذا المنكـر.. فوقع فيما هو شر منـه، وكـان مثاله كصاحب العصا الغليظة، أو كالوالد الذي أراد إصلاح إعوجاج يسـير في ابنـه، فانهـال عليه بالسياط حـتى أرداه قـتيلاً، وهكـذا الشـيخ ربيع بن هـادي، قـام ليصـلح أخطـاء الجماعات الإسـلامية والـدعاة والمصـلحين على طريقتـه، فبـدأ بالصـياح: احـذروهم احذروهم!! سيخربون الإسلام!! سيضيعون الدين!! سيفتنون المسلمين!! وأصـبحت هذه الصيحات هي هجيراه، وأذكاره الـتي ينـام عليهـا، ويقـوم عليهـا... ويكررها لكل زائر إليه، ولا موضوع عنده غيرهـا!! الجماعـات الإسـلامية سـتخرب الإسـلام!! هـذا الداعي زنديق، وذلك خارجي، وهذا باطني... الخ

* الشيخ ربيع يضع أصولاً لمنهجه في النقد والحكم على المسلمين:

والخطير في الأمر أن الشيخ ربيع بن هـادي أراد أن يؤصل تأصـيلاً شـرعياً للسياسة التي سار عليها في حرب دعاة الإسلام، ومن يظن أنه انحرف عن الصراط والسنة، فبدأ يبحث لمنهجه هذا عن أصـول شـرعية من الآيـات والأحـاديث ومواقف السـلف الصـالح... فكـان أن وضع مجموعة من الأصـول الفاسـدة الـتي يكفي بعضـها لهـدم

الإسـلام، وراح يجهد نفسه بالاسـتدلال لها من الكتـاب والسـنة وعمل سـلف الأمـة، ومن هذه الأصول:

1) تفريغ منهج الأنبياء من الدعوة والعمل لتحكيم شريعة الله:

تفريـغ منهج الأنبياء عليهم السلام من الدعوة إلى تحكيم شريعة الله وإحلال ما أحله الله وتحريم ما حرمـه الله، وحصـرها فقط في توحيد التقـرب بـأن تكـون العبـادات والقربات لله وحده، وهذا هو التوحيد الذي اصطلح عليه بتوحيد (الألوهيـة) وهو نـوع واحد من التوحيد الـذي دعت إليه الرسـل، وقد كتب الشـيخ ربيع بن هـادي كتابـاً لتأصيل هذا الأصل الباطل سماه منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، أراد الشـيخ ربيع أن ينبه جماعـات الـدعوة الـتي تهتم بتوحيد الحكم، وتقدمه وحـده دون سـائر أنـواع التوحيد وهـذا خطأ منهم فقلل هو من شـأن توحيد الحكم، وقلل من شـأن جهـادهم في الدعوة إليه وإقراره.. والحال أن هذا التوحيد قرين لهـذا التوحيـد، فـإن التحـاكم إلى غير شرع الله وعبادة الأصنام والأوثان سواء..

ثم جـاء بعد ذلك من بـنى على أصل ربيع الـذي أصـله في كتابه (منهج الأنبيـاء في الـدعوة إلى اللـه) فـأنكر أن يكـون توحيد الحكم داخلاً في مسـمى التوحيـد!! ومن قـال إنه فرعية من الفروع!! وفرح المبدلون لشرائع الله بهـذا الأصل الفاسد فرحـاً عظيماً لأن فيه صرفاً للدعاة إلى الله أن يسـعوا في أن يحكم المسـلمون بشـريعة الله!

2) المؤاخذة بالزلات، وعدم الإعذار بالجهل:

ولما أراد الشـيخ ربيع أن يصـرف شـباب الإسـلام عن اتبـاع الجماعـات الإسـلامية، والـدعاة والمصـلحين، اخـترع أصـلاً آخر من أصـوله وهو أن كل من وقع في بدعة وجب وصفه بالمبتدع، وأن كل مبتدع يجب هجره، ولا يجوز الاستفادة من علمـه، ولا دعوته، ولا جهاده!! وراح يستدل لهذا الأصل باطلاً من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمـة، وخـرج على النـاس بكتابه الـذي سـماه (منهج أهل السـنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف).

وكـان خلاصة الكتـاب أن من وقع من المسـلمين في بدعة من البـدع فيجب إنكارها عليه، وأنه لا يجـوز أن يـذكر في المسـلمين إلا بهـا، وأنه يجب التحـذير منه حـتى لا ينخدع الناس به، وأنه مهما عمل من عمل صالح، فإنه لا يقبل منه...

ولما وضع الشـيخ ربيع هـذا الأصل الثـاني جاءته سـلبيات الجماعـات الإسـلامية، والدعاة، والمصلحين من كل حدب وصوب، فتحصل عند الشيخ ربيع من هـذا شـيء كثير جداً...

وامتلأ قلبه المسـكين على جل العـاملين للإسـلام غيظـاً وحنقـاً، وبغضـاً بل قيحـاً وصـديداً.. وأصـبح لا يقـوم ولا يقعد إلا وهو يـذمهم ويشـتمهم ويحـذر منهم، وأصـبح صراخه الدائم: هم أخطر من اليهود والنصارى!!

وأصبح أصـله الثـالث هو تتبع سـقطات الـدعاة، وجمع ما أخطئـوا فيـه، وجعل ما هو سقطة لأحدهم عقيدة يؤاخذ بها، وجعل الفروع أصولاً، وأخذ بلازم القول، ولم يحمل

مطلقاً على مقيد، ولا مبهماً على مفسر، ولا متشابهاً على محكم، ولا متقـدماً على متأخر..

* المصير والخاتمة:

ولما وقع الشيخ ربيع فيما وقع فيه من وضع هـذه الأصـول الفاسـدة أوقعه هـذا في التناقض المشين، فبدأ يكيل بمكيـالين! ويقــول الشـيء ونقيضـه، وينقلب من الضد إلى الضد، وينزل أقوال السلف في غير منازلها، بل ويضع القرآن والحديث في غـير مواضعه... وأصبح يـرى أن العـدل مع الدعــاة والمصـلحين من أصـول أهل البـدع!! وإهدار الحسنات، والمؤاخذة بالزلات من أصول السنة!! وأصبح يرى نفسه مضـطراً إلى التقية والتدليس!!

وأراد أن يجمع السلفيين ففـرقهم.. وأن يخـدم المسـلمين فضـرهم، وأن يجاهد في سبيل الله، فنصر أعداء المسلمين على المسلمين!!

ومن البر ما يكون عقوقا   رام نفعاً فضر من غير قصد

وأراد أن ينهى عن الحزبية، والفرقة، فأقام شر الحزبيات، والجماعـات، وزرع أعظم ألوان الفرقـة والشقاق.. بإخراج مجموعة من الذين يـرون عقد الـولاء والـبراء على فروع معدودة في الدين، ومن الذين يخرجون من السنة عند أدنى خلاف في الــرأي والاجتهاد.

ونسى الشيخ ربيع وهو في غمرة حماسته لنصر الدين ما يتذكره -في العادة- عــوام الناس وسقطهم من أصول المروءة وحقـوق الأخـوة والزمالـة، والصـداقة، فسـعى بــدمي!! وانقلب على كل من كــان يحبهـم ويقــدمهم، واتهمــني مما يعلم هو علم اليقين أني برئ منـه: وكـان مما اتهمـني به أنـني شـديد الحنق على علمـاء الـدعوة السـلفية، وأحـارب السـلفية والسـلفيين منذ ثلاثين سـنة وهو إلى وقت قـريب كـان يمدح، وينصر ويشيد.

ولكنه -سامحه الله- ورطه اليوم من ورطوه بالأمس وأوغروا صدره، وملئوا قلبه ثم أطلقوه ليحترق!!

عُذَيرك من خليلك من مراد   أريد حياته ويريد قتلي

هذه هي القصة الحقيقية للخلاف بيني وبين الشيخ ربيع بن هادي -سـامحه الله وعفا عنه- ليس لي بحمد الله عقيـدة أخـالف فيها سـلف الأمة وأئمتهـا، وليس لي موقف من جماعات الدعوة يخالف أئمة الدعوة المعاصرين من أمثال شيخنا ووالدنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله، وأستاذنا الشيخ محمد ناصـر الـدين الألبــاني، وغيرهما من أهل العلم والدين والورع والنظر في العواقب..

ولو كان الشيخ ربيع يكيل بمكيال واحد لوجه الاتهامـات الـتي وجهها إلي، إلى هـؤلاء المشايخ أنفسـهم وصنف فيهم ما يصنفه فيمن يسميهم المـدافعين عن أهل البــدع،

فإن موقفي هو موقفهم، ورأيي في الحكم على جماعات الـدعوة، وعلمـاء الإسـلام مثل رأيهم، ولكن... ولنأت إلى شيء من التفصيل في هذا الأمر:

* ربيع بن هادي والكيل بمكيالين والوزن بميزانين:

أعظـم جريمة لي عند ربيع بن هادي المدخلي هي أنني أدافع عن من يســميهم أهل البـدع، وهـذه هي القضـية الأساسـية في كتابه ذي المـائتي صـفحة، وقد كـرر ذلك عشرات المرات في كتابه...

ومن ذلك قوله:

1) إن عبدالرحمن عبـدالخالق شـديد الحنق على علمـاء المنهج السـلفي وطلابـه، ومن هذا المنطلق كثر طعنه ظلماً وتشويهه لهم بـدون أي سـبب في كثـير من كتبه وأشرطته إلا نظرته المستخفة بهم وبمنهجهم الـذي يـرى فيه القصـور، ويـرى أنه لا يساوي شيئاً أو أن علماءه لا يفهمون من الإسلام إلا القشور بالنسـبة لمنهجه الـذي أصـله هو وجعل من أهم هـذه الأصـول العصـرية والواقعيـة، والشـعبية الجماعيـة... واستمـر على هذا الطعن والتهويش ما يقارب ثلاثين عاماً. (جماعة واحدة /194)

2) إن عبدالرحمن عبد الخالق يحترم رؤوس أهل البـدع المعاصـرين، ورؤوس أهل الفتن الحزبيين مثل سـيد قطب، والبنـا، والمـودودي، وكما بلغـني (هكـذا) الـترابي، ومن دار في فلك هؤلاء، ويدافع عنهم ويتولاهم (جماعة واحدة/194)

والسلفيون الذين يعنيهم ربيع هنا هم نفسه ومن تـأثر بمنهجه في تكفـير المسـلمين وتضليلهم..

وقال أيضاً: "لم يقتصر أذى عبدالرحمن على السلفيين وتشويهه لهم، بل تجاوز ذلك إلى تشويه السلفية نفسها" (جماعة واحدة/196)

وأهل البدع الذي يعنيهم ربيع بن هادي، والذين اتهمني أنني أدافع عنهم هم جماعات الدعوة إلى الله، والدعاة إليه، والمصلحون من هذه الأمة..

وهؤلاء الذين سماهم الشيخ ربيع أسأل الله أن يجزيهم عن الإسلام والمسـلمين بما قدموا من إحسان وبر، ودعـوة إلى اللـه، وأن يتجـاوز عما أخطئـوا فيـه، وليس أحد بمعصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذه التهمة الـتي جعلها ربيع أساسـاً لكتابه لا أنفيها عن نفسـي، بل أنا أتقـرب إلى الله بهـا، فأنا أدافع وأذب عن عـرض كل مسـلم يثلب بباطـل، وأقف مع كل مسـلم في محنته بما أسـتطيع، وأحب كل داع إلى الله في شـرق الأرض أو غربهـا، وأدعـو لكل داع إلي الإسلام بخير، وأحب معلم الناس الخير ولو كان يعلمهم آيةً واحـدة من كتاب الله، أو حديثاً واحداً من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.. وأدعو له بــدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: [نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها، ثم أداها إلى من لم يسمعها] (رواه أحمد وأبو داود)

واعتقد أن كل من يبلغ خيراً، ويدعو إلى خير ممتثلاً لقـول الرسـول صـلى الله عليه وسلم: [بلغوا عني ولو آية] مخلصاً لله في عمله أنه على خير..

وأنه قائم بأمر عظيم كما قـال تعـالى: {ومن أحسن قـولاً ممن دعا إلى الله وعمل صـالحاً، وقـال إنـني من المسـلمين} ، وكلما عظم أثر الرجل في الخـير عظم في عيـني، وزاد حبه في قلـبي، ودعـوت له بظهر الغيب، ورجـوت أن يكـون لي مثل عمله، وغبطته على النعمة التي أولاه الله إياها، ومكنه منها، وتمنيت أن أكون مثله.

وإذا وقع مسـلم في خطـأ، أو زلة حـاولت جاهـداً أن أسـترها عليه مع النصح له ما أمكنني ذلك، ودعوت الله أن يغفر له زلته،ويتجـاوز عن خطيئتـه، وإذا رأيت مسـلماً أراد أن يتبع زلة غـيره، ويقع فيما أخطأ فيه بعض أهل العلم، نصـحت لـه، ونهيته ما استطعت أن لا يتبع خطأ غـيره، وأنه لا عـذر لأحد في اتبـاع زلة العـالم، وأخبرته أن العالم يغفر له باجتهاده، وأنك لا تعذر في اتباعه في خطئه إذا تبين لك..

وأتمـنى من كل قلـبي أن يعتصم المسـلمون جميعـاً بكتـاب اللـه، ويمحضـوا الإتبـاع لرسول الله، ويتمسكوا بالقرآن والسـنة، وهـدي سـلف الأمـة، هـذا -بحمد اللـه- هو ديني وعقيدتي..

ولم أدافع بحمد الله -فيما أعلمـه- عن بدعة قـط، ولا مبتـدع قط إلا أن يُتَّهم مسـلم بباطل، ويحمَّل كلامه ما لا يحتمل، ويُخْرج من السنة والإسلام زوراً وبـاطلاً.. فـأدافع وأذب عن عرض المسلمين بما أستطيع.. هذا هو ديني الـذي أدين الله بـه، وهـذا ما عملت به بحمد الله طيلة حياتي، وموقفي هذا ما عليه أئمة الـدعوة ورجـال الهـدى، وهذه نماذج من مواقفهم..

أولاً: موقف شيخنا ووالدنا الشيخ عبدالعزيز بن باز من جماعات الدعوة:

لقد خاض والدنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله ورعاه معركة طويلة ضـارية مع أهل التبـديع بالباطل الـذي تكـالبوا على جماعة التبليـغ، وأرادوا قطع نشـاطها من الوجود، وإخراجها بصورة إجمالية من أهل السنة والجماعة، وتحـريم التعـاون معهـا، والخروج معها وإغلاق مساجد المسلمين في وجوه أفرادها ودعاتها..

لقـد خاض الشيخ ابن بـاز معركة ضـارية مع الـذين أرادوا ذلـك، وكتب عـدة فتـاوى، وأجـاب على عشـرات الأسـئلة، وكتب عـدة رسـائل، وروجع في هـذا الأمر مـرات ومرات، وهو لا يتزحزح عن موقفه، ولا ينثني عنه.. معلناً أن ذلك دين يدين الله بـه، وسنة يتبع بها سلفه وأستاذه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.. وأنه مستوثق من هذه الجماعة، وعليم بما هم عليه، وأنه يشرع التعـاون معهم في الخـير، وينصح لهم فيما عندهم من مخالفة السنة..

وهذه نماذج من أقوال الشيخ وفتاويه ورسائله ودفاعه عن جماعة التبليغ:

1) كـان الشـيخ عبـدالعزيز حفظه الله قد أصـدر مجموعة من الفتـاوى في هـذه الجماعة، وأراد هـؤلاء المحاربون لكل عمل إسلامي أن يلبسوا على الناس، فـادعوا أن الشيخ تراجع عن موقفه في تأييد جماعة التبليـغ، والنصح لهم، فقـال الشـيخ بعد سؤاله هل تراجع عن فتاويه السابقة؟

"فـأخبركم أنـني لا زلت على رأيي في الجماعة المـذكورة فيما كتبته عنهم قـديماً وحديثاً من الكتابـات الكثـيرة، وما كتبه سـلفي شـيخنا الشـيخ محمد بن إبـراهيم آل

الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه، وما كتبه غيرنا من العلمـاء وأيـده جلالة الملك عبـــدالعزيز رحمـه الله وجلالة الملك فهد وفقه الله فيما كتبه إلي لأنهم قد نفع الله بهم جمعاً غفـيراً فـالواجب شـكرهم على عملهم وتشـجيعهم وتنـبيههم على ما قد يخفي عليهم وذلك من باب التعاون على الـبر والتقـوى والتناصح بين المسـلمين إلا أني أنصحهم وجميع المسلمين لا سيما الشباب أن لا يسافر منهم إلى بلاد الكفار إلا أهل العلم والبصـــــــيرة لما في ذلك من الخطر العظيم على كل من ليس له علم بالشريعة الإسلامية والعقيدة الصحيحة التي بعث الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، ودرج عليها سلف الأمة أمَّا ما نسـبه المعارضـون لهم عـني من الرجـوع عن رأيي فيهم فهو كــذب علي بل إني نصــحتهم ووبختهم على عملهم. وقلت لهم فيما قلت متمثلاً بقول الشاعر:

أو سدوا المكان الذي سدوا   أقلوا عليهم لا أبا لأبيكموا من اللوم

وحرضــتهم على كـثرة الاجتمــاع بهم، والخــروج معهم، وأوضــحت لهم ما فيه من الفوائـد، وطلبت منهم أن يتهمـوا الـرأي، وينظـروا في العـواقب وبينت لهم ما في شقاقهم وخلافهم من الشر العظيم، وسوء العواقب في الدنيا والآخرة وأن ذلك من الشـيطان.. أعاذنا الله منه ليصـرف النـاس عن الـدعوة إلى اللــه، ويشـغلهم عنها بفساد ذات البين، وكثرة القيل والقال.. هذا ما أدين الله به وأعتقده، وأسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويمنحنا الثبـات عليـه، والباطل بـاطلاً ويمن علينا اجتنابـه، ولا يجعله ملتبســاً علينا فنضل أنه ولي ذلك والقــادر عليــه، وصــلى الله وســلم على عبــده ورسوله الذي بعث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يــوم الدين.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (فتوى بتاريخ 27/1/1407)

2) وقال أيضاً حفظه الله:

"الجماعات التي تدعو إلى الله كثيرة ومتنوعة، وقد سبق السؤال من بعض الإخوان عن جماعة التبليـغ، وهي جماعة من الهند والباكسـتان وغيرها يتجولـون في بلــدان الدنيا في أوروبا، وأفريقيا، وأمريكا، وآسيا، وفي كل مكان، ولهم نشـاط في الدعوة ونشاط في البلاغ، ولهذا سمو جماعة التبليغ، يبلغون الإسلام، ويبلغون دعوة الله عز وجـل، والنـاس فيهم بين قـادح ومـادح كما تقـدم، فمنهم من جهل أمـرهم فـذمهم، ومنهم من عرف أمرهم فمدحهم، وأثنى عليهم، ومنهم من توسط في ذلـك، والـذي قلنا فيما تقدم هو الذي نقوله الآن ليسوا بكاملين، عندهم نقص وعندهم غلط، وعند رؤسـائهم القـدامى بعض الأغلاط، وبعض البـدع، ولكن هـؤلاء الأخـيرون في الأغلب ليس عندهم شـيء من ذلـك، وإن كـان عند رؤسـائهم الأقـدمين، لكن هـؤلاء الـذين يتجولون الآن ينشدون توجيه النـاس إلى الإسـلام وتـرغيبهم في الآخـرة، وتزهيـدهم في الدنيا وتشجيعهم على طاعة الله ورسـوله، وقد تـأثر بهم الجم الغفـير يصـحبهم الفساق والعصاة، فيرجعون بعد ذلك عباداً أخياراً قد تأثروا بهذه الدعوة.

هذا هو الذي علمنا منهم، وقد صحبهم جم غفير من إخواننا، وعرفـوا ذلـك، وعنـدهم بعض النقص، والجهل كما سبق وفيهم جهال يريدون الخـير فـإذا صـحبهم أهل العلم والبصـيرة وأهل العقائد الطيبة نبهـوهم على بعض الأغلاط وسـاعدوهم على الخـير، وصارت الـدعوة أكـثر نفعـاً وأكمل بلاغــاً، أما ما صـدر من اللجنة الدائمة لـدينا في

الرئاسة منذ سنين فقد خفي عليهم بعض أمورهم فصدر في الفتوى شيء غير مناسب، وليس العمل عليها بل العمل على ما ذكرنا آنفاً، وإن الواجب على أهل العلم هو التعاون معهم على البر والتقوى وإصلاح ما قد يغلطون فيه، وهكذا غيرهم مثل جماعة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في الباكستان والهند وغيرهما، كلهم عنده نقص، والواجب التعاون على البر والتقوى والتعاون على ما ينفع المسلمين، والنقص يجب على أهل العلم أن يتعاونوا على إزالته والتنبيه عليه حتى تكون الدعوة من الإخوان جميعاً متقاربة ومتعاونة ومتساندة، حتى ينفع الله بهم الجميع، فإذا اضطربت واختلفت أوجبت التنفير والشكوك والبلبلة فالواجب على كل من لديه علم وغيرة إسلامية من أهل العلم أن يساعد في الخير وأن ينبه على الخطأ من جماعة التبليغ ومن غير جماعة التبليغ، هذا هو الذي نعتقده في هذا كله في جميع الجماعات، ما كان عندها من خطأ نبهت عليه وبين لها خطؤها، وما كان من صواب شكرت عليه، وشجعت على التزامه ونشره بين الناس حتى تستقيم الدعوة إلى الله من جميع الجماعات الإسلامية، ونسأل الله التوفيق وصلاح النية والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه" (فتوى بتاريخ 15/4/1407هـ)

3) وهذه كذلك موعظة بليغة من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وجهها لبعض طلبة العلم الذي سعي بكل قوته أن يستصدر فتوى من الشيخ عبدالعزيز بن باز بتبديع جماعة التبليغ، وقطع نشاطهم وإغلاق مساجد الله في وجوههم..

علماً أن هذا الطالب كان عاملاً معهم لمدة ثماني سنوات، ودافع عنهم يوم كان معهم بكل ما أوتي من قوة، وكتب للشيخ ابن باز الرسائل الكثيرة في تزكيتهم، وحث الشيخ على تأييدهم، ثم بعد أن انقلب عليهم أراد من الشيخ عبدالعزيز بن باز أن يفتي بتبديعهم ومنعهم فكتب له الشيخ موعظته البليغة هذه قائلاً:

"سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..أما بعد،،

فقد وصلني كتابك المؤرخ (3/3/1408هـ) ومشفوعاته: كتابك لفضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري، وفضيلة الشيخ يوسف الملاحي، وما أرفقت بهما واطلعت عليها كلها، ولا أكتمك سراً إذا قلت إني لم أرتح لها، ولم ينشرح لها صدري، لأن هذه الطريقة التي سلكت لا تفيد الدعوة شيئاً لأنها تهدم ولا تبني وتفسد ولا تصلح وضرها أقرب من نفعها، ولم يعد ضررها إلا على الدعوة وعلى إخوانك في الله من خيرة المشايخ وطلبة العلم نشأوا على التوحيد والعقيدة الصحيحة علماً وتعليماً ودعوة وإرشاداً، وقد استغلها من لا بصيرة له في مناصبتهم العداء، وتكفير بعضهم لهم، واستباحة بعضهم لدمائهم والعياذ بالله مع الوشاية بهم، واستعداء المسؤولين عليهم، وتهويل أمرهم عندهم، وتخويفهم منهم، ورميهم بالعظائم، وإلصاق التهم بهم مما هم برءاء منه حتى حصل على الدعوة والدعاة من الضرر ما الله به عليم.

أما ما أقمتم الدنيا وأقعدتموها من أجلهم فينطبق عليكم قول الشاعر:

وناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

لكونهم بمنأى عنكم في بلادهم سائرين في دعوتهم في حماية من دولتهم لاحترامها لهم لأنك ذكـــــرت في بعض كتاباتك لنا أن رئيس الحكومة يحضر اجتماعـــــاتهم، ويشجعهم كماَ ذكَرَ لنا هذه الأيام بعض أبنائنا المتخرجين من كلية الشـريعة بالجامعة الإسلامية ممن شاركهم في الدعوة سنين طويلة أن مركزهم في راولبنـدي مفتـوح 24 ساعة، وجماعات تخرج في سبيل الله، وجماعات ترجع فما دام الأمر هكـذا فلن تخضـعهم كتاباتـك، وكتابـات أمثالك المشـتملة على الفظاظة والغلظـة، والسب والشتم، بل إن هذه الكتابات ستكون سبباً في نفرتهم من الحق، وبعدهم عنه لقول الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الـذي أدبه ربه فأحسن تأديبـه: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظـاً غليظ القلب لانفضـوا من حولـك}.. وقـول النبي صلى الله عليه وسلم: [إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شـانه، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، ولا على ما سواه] والله سبحانه وتعـالى نهى عن سب الكفـار إذا كان يفضي إلى سب الله، فكيف بسب المسلمـين إذا كـان يفضي إلى تنفـيرهم من الحق وبعدهم عنه، وعن الـداعين إليـه، فـالواجب أن تسـعوا في الإصـلاح لا في الإفسـاد، وأن تخـالطوهم وتنبهـوهم على ما قد يقع من بعضهـم من الخطأ بـالرفق واللين، لا بالعنف والقسوة.. أما تشديدك في إنكـار البيعة على التوبة فقد اقـترحت على قـادتهم لما اجتمعت بهم في موسم الحج الماضي بمكـة، وحصل بيـني وبينهم من التفاهم ما نرجو فيه الفائدة أن يكون عهد بدل بيعه فقبلوا ذلـك، ولعلهم تعلقـوا بما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جزء 28 من صفحة 21 من الفتاوى من عدم إنكار ذلك.

وكذلك تشديدك النكير عليهم في إبقائهم أحد الدعاة في المسجد للـدعاء لهم ولعل قصدهم الاقتداء بـالنبي صـلى الله عليه وسـلم حين بقي في العـريش يـوم بـدر مع الصـديق يناشد ربه النصر حـتى سـقط رداؤه عن منكبيه فـرده الصـديق، وقـال يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، ولا يـوجب هـذا العمل هذا التشنيع الفظيع هدانا الله وإياك، وقد تمنيت أنك قبلت نصـيحتي المتكـررة لـك، وما أشرت به عليك سابقاً ولاحقاً في كتبي المرفق بعضها، مع بعض صور مما صدر منك في الموضـوع لأني كتبتها عن بصـيرة وتـأنٍّ ونظر في العـواقب، وموازنة بين جلب المصالح، ودفع المضار، وخبرة تامة بهم لتكرر اجتماعي بهم في مكة والمدينة والريـاض مع ما اسـتفدته من ثقـات المشـايخ الـذين سـافروا إليهم وحضـروا اجتماعـاتهم واطلعـوا عليها عن كثب وأعجبـوا بهـا، وكنت نصـحتك بما نصـحت له محمود استنبولي لما تهجم عليهم على غير بصيرة كحال أكثر من شن عليهم الغارة في هـذا الـوقت بـدافع الجهل والهـوى نعـوذ بالله من ذلك وقد قلت في رسـالتك المذكورة لمحمود: (وصلتني رسالة منك حول جماعة التبليغ ويؤسفني أن ينهـج أحد الـدعاة إلى الله هـذا المنهج المخـالف لشـرع الله في سب أقرانه في الـدعوة إلى الله وشـتمهم وتضـليلهم واتهـامهم بتنفيذ مخططـات أعـداء الله في الكيد للإسـلام والمسـلمين، كل ما في الأمـر أن جماعة التبليغ نهجت في الـدعوة إلى الله منهجـاً أخطـأت -فيما نـرى- في بعض جـوانب منه ونـرى من الـواجب أن ننبههم على هـذا الخطأ، كما نرى من الواجب الاعتراف بما في منهجهم من صواب وليت أخي يخـرج معهم ليتعلم منهم اللين بدل القسوة والدعاء للمسلمين بدل الدعاء عليهم والجـدل

بـــالتي هي أحسن بـــدل الجهر بالســـوء وكلنا محتـــاج لتفقد نفسه وتصـــحيح منهجه والرجوع إلى الله وإلى سنة رسوله في طاعة الله والدعوة إليه).

انتهى كتابك بحروفـــه، وقد كتبته بعد اختلافك معهم في الـــرأي، ولكن الله أنطقك بالحق فالحمد لله على ذلك، وإليك رسالتك المذكورة مع شكرنا لك عليها برفقه.

وربما اغتر بكتاباتك القاسية -ثقة بك- من لم يخالطهم في عمره، ولم يخــرج معهم، ولم يعرف عنهم شيئاً إلا من كلامك فيكـون عليك وزرك، ومثل أوزار من انخـدع بما كتبت إلى يوم القيامة.

فاتهم الرأي يا بـني واعلم أن الله عند لسـان كل قائـل، وقلبـه، وأن الله سيحاسب الإنسان عما يلفظ به أو يعمله، والجأ إلى ربـك، واضـرع إليه أن لا يجعلك سـبباً في الصد عن سـبيله وأذية المسـلمين، وأسـأل الله عز وجل أن يشـرح صـدرك لما هو الأحب إليه من نفع لعبـــاده وأن يختم لي ولك بالخاتمة الحســـنة إنه جـــواد كـــريم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"

ثانياً: موقف الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله من جماعات الدعوة:

ونموذج آخر: هذا شـيخنا ناصر الـدين الألبـاني حفظه الله يقـول في وجـوب تعـاون الجماعات الإسلامية، وتضافر جهودها:

1) "هؤلاء جمعيات أعتقد أن وجودهم ضروري لأن جماعة واحـدة منهم لا تسـتطيع أن تقوم بكل واجب يفرضه الإسـلام على الجماعة الإسـلامية وإنما هـذه الجماعـات يجب أن تقوم كل منها بواجـبها " ولكن بشرط واحد وهو أن يكونوا جميعاً في دائرة واحدة متفقـون على الأسس وعلى القواعد الـتي ينبغي أن ينطلقـوا منها ليتفـاهموا ويتقاربوا "

ويقول والـدنا ناصر الـدين أيضـاً -حفظه الله -: "أنا على يقين لا السـلفيون وحـدهم يستطيعون ولا الإخـوان المسـلمين وحـدهم يسـتطيعون ولا.. ولا.. عد ما شـئت من جماعات وأحزاب ولكن هـذه الجماعـات إذا توحـدت في دائـرة واحـدة وتعـاونوا كل منهم في حـدود اختصاصه فحينئذ أو فيومئذ يفـرح المؤمنـون بنصر الله وعلى ذلك نحن ماضـون لا نعـادي طائفة أو جماعة من الجماعـات الإسـلامية إطلاقـاً لأن كل جماعة كما صرحت آنفاً تكمل النقص الـذي يوجد عند الجماعة الأخـرى هكـذا اعتقد أن تكون علاقة الجماعات الإسـلامية بعضـها مع بعض والـذي نـراه مع الأسف خلاف هذا الواجب الذي ينبغي أن تجتمع الجماعات عليه"

3) ويقول أيضاً: "الآن الحـرب بين الإسـلام وبين العلمانية ففي هـذا الوضع ينبغي للرجل المســلم الغيــور على الإســلام أن يتــأنى في ســبيل بيــان موقفه من بعض الجماعات الإسلامية التي عندها انحراف قليل أو كثير عن الإسلام ما ينبغي الـدخول في هــذه التفاصــيل ما دام هــذه الجماعــات الإســلامية كلها ضد الهجمة الشرسة العلمانية بأن يقول هؤلاء من الإسلاميين على الحق وهؤلاء منحرفين قليلاً عن الحق وهؤلاء منحرفين كثيراً عن الحق.. وهذا ليس الآن مجاله بارك الله فيك..

الآن جبهتان إسلامية فيها (كذا) وفيها (كذا) وجبهة أخرى ما فيها (كذا) و (كذا) كلهم جبهة الكفر والضلال كلهم يجتمعون على المحاربة للإسلام"

* موقف الشيخ ربيع بن هادي من جماعات الدعوة اليوم:

وبينما كـان هذا هو موقف أهل العلم والتقوى والبصـيرة من المسـلمين إذا بالشـيخ ربيع بن هادي المدخلي يصور هـذه الجماعات الـتي تـدعو إلى الله بالأوصـاف الـتي يطلقها أعداء الإسلام عليهم فيقول:

"والذي أدين الله به أنه لولا اعتراض هذه الجماعـات لجهـود أهل السـنة حقـاً لكـان العالم الآن يضيئ بأنوار الإسلام الحق ولكان حال المسلمين اليوم غـير الحالة الـتي يعيشونها اليوم حالة الدماء والإرهاب والتخريب في كل مكان" (جماعة واحدة/75)

وقال أيضـاً: "أن لهم تنظيمـات سـرية على طريقة الباطنية والماسـونية وتنظيمـات علنية وأقلام وألســنة كاذبة وإشــاعات شــيطانية وأمــوال وحيل لســلب الأمــوال، وأساليب لتحطيم الخصوم، وكسب الأنصار والأعوان" (جماعة واحدة/76)

وقال أيضـاً: "فهي جماعات مختلفة المنـاهج والغايـات والمقاصـد، كل جماعة تـدعو إلى منهجها، وتسعى لتحقيق غاياتها التي تضر ولا تنفـع، وتغـرس في نفـوس أتباعها الحقد والبغضاء لكل من لا ينضوي تحت رايتها وتفتعل من الأكاذيب والشائعات التي تحطم خصومها ومخالفيها، وكثير منـها يبـالغ في عدائه للمسـلمين فيكفـرهم ويـرى سفك دمائهم واستحلال أموالهم وأعراضهم" (جماعة واحدة/99)

وقال أيضاً: "فإن ذلك يعرض الأمة للهلاك والعذاب في الـدنيا والآخـرة ويزهد أعـداء الإسلام في الإسلام ويشوهه في نظـر هؤلاء الأعداء فيقولون لو كان في هذا الـدين خير وصلاح لما تفرق أهله فرقاً شتى يعـادي بعضهم بعضاً، ويهلك بعضهم بعضاً كما حصل لهذه الجماعات... إذ صـورت الحزبية فيها بتناحرها الوحشي الهمجي الإسـلام في أحط صـور الفوضـوية والوحشـية، والهمجيـة، وبـرأ الله الإسـلام، وأهل السـنة والحق منها" (جماعة واحدة/105)

ويعتبرهم صنائع للأعداء فيقول:

"وألا تعلم أن هذا مما يفرح أعداء الإسلام ويبـذلون أمـوالهم، ويقـدمون سياسـاتهم، وخططهم لقيــام مثل هــذه الأحــزاب الــتي تحقق مصــالحهم واســتعلاءهم على المسلمين" (جماعة واحدة/115)

وقال أيضاً: "أما إذا كانت هذه الجماعات والجمعيات قائمة على عقائد فاسدة ضالة وتنهب أموال المسلمين لمصالحها، وأغراضها، وتتضـارب مناهجها وبرامجها وتصـادم عقائـدها ومناهجها كتـاب الله وسـنة نبيه صـلى الله عليه وسـلم، ويتبـادلون التهم والإشاعات الكاذبة، وتدور المعارك الدموية فيما بينهم" (جماعة واحدة/187)

واتهمهم بحرب الدين فيقول:

"ولم تعمل هـذه الجماعـات لرفعة الـدين لأن فاقد الشـيء لا يعطيـه، ولأن الواقع يشـهد أن كل جماعة لا تـدعو ولا تعمل إلا لرفعة نفسـها ومبادئهـا، ومناهجها الـتي

تحـــارب دين الله الحق المتمثل في المنهج الســـلفي، وتحـــارب دعاته وعلمـــاءه ومجاهديه" (جماعة واحدة/105-106)

وهكـذا يـردد الشـيخ ربيع بن هـادي اليـوم مقـالات أعـداء الإسـلام، ويعمم أحكامه الظالمة على هذه الجماعات التي جردها من النفع، وجعلها مصـدراً للشر والإجـرام والفرقة والخلاف، وحرب السنة والدين، ونشر البدعة، وأنها لهذه الأضـرار أصـبحت أخطر على أهل الإسلام من اليهود والنصارى.

* موقف الشيخ ربيع من جماعات الدعوة أمس:

هذا ما يقوله ربيع بن هادي اليوم، ولكنه بالأمس كان يقول غير ذلك تماماً، فقد كـان ينصح لهم، ويؤيد ما يقولونه من الخير، ويحـــذر عما يفعلونه مما يـراه بـدعاً، وشـراً، شأن الناصحين لأمتهم، وإليك مثال من مواقفه السابقة قبل أن يؤصل هذه الأصـول الجديدة فقد نقل الشيخ ربيع كلام الأسـتاذ سـيد قطب رحمه الله في تقريـره الـذي كتبه في آخر عمره:

"ولا بد إذن أن تبـدأ الحركـات الإسـلامية من القاعـدة، وهي إحيـاء مـدلول العقيـدة الإسـلامية في القلـوب والعقـول، وتربية من يقبل هـذه الـدعوة، وهـذه المفهومـات الصـحيحة تربية إسـلامية صـحيحة، وعـدم إضـاعة الـوقت في الأحـداث السياسـية الجارية، وعدم محـاولات فـرض النظـام الإسـلامي عن طريق الإسـتيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعـات هي الـتي تطلب النظـام الإسـلامي لأنها عرفته على حقيقته وتريد أن تحكم بــه.. إذ أن الوصــول إلى تطــبيق النظـــام الإسـلامي والحكم بشـريعة الله ليس هـدفاً عـاجلاً، لأنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد نقل المجتمعات ذاتها أو جملة صالحة منها ذات وزن وثقل في مجـرى الحيـاة العامة إلى فهم صحيح للعقيــدة الإسـلامية، ثم للنظـام الإسـلامي وإلى تربية إسـلامية صـحيحة على الخلق الإسلامي مهما اقتضى ذلك من الزمن الطويل والمراحل البطيئة.

هذا الظرف كان يحتم علي أن أبدأ مع كل شاب وأسير ببطء وحذر من ضرورة فهم العقيــدة الإســلامية فهمــاً صــحيحاً قبل البحث عن تفصـيلات النظـام والتشــريع الإسلامي، وضرورة عدم إنفاق الجهد في الحركات السياسية المحلية الحاضـرة في البلاد الإسلامية للتوفر على التربية الإسلامية الصحيحة لأكـبر عـدد ممكن، وبعد ذلك تجئ الخطــوات التالية بطبيعتها بحكم اقتنــاع، وتربية قاعــدة في المجتمع ذاته لأن المجتمعات البشرية اليـوم بما فيها المجتمعـات في البلاد الإسـلامية قد صـارت إلى حالة مشابهة كثـيراً أو مماثلة لحالة المجتمعـات الجاهلية يـوم جاءها الإسـلام، فبـدأ معها من العقيدة والخلق لا من الشريعة والنظام.

واليوم يجب أن تبدأ الحركة والـدعوة من نفس النقطة الـتي بـدأ منها الإسـلام، وأن تسير في خطوات مشابهة مع مراعاة بعض الظروف المغايرة"

ثم علق الشيخ ربيع على كلام سيد قطب رحمه الله قائلاً:

"رحم الله سـيد قطب لقد نفذ من دراسـته إلى عين الحق والصـواب، ويجب على الحركات الإسلامية أن تستفيد من هذا التقرير الـواعي الـذي انتهى إليه سـيد قطب

عند آخر لحظة من حياته بعد دراسة طويلة واعية لقد وصل في تقريـــره هـــذا إلى عين منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام" (منهج الأنبياء ص/138-139)

وبعد هذا نقول للشـيخ ربيع بن هـادي إذا كنت قد غـيرت موقفك ومنهجـك، وانقلبت من النقيض إلى النقيض، ومن الضد إلى الضد فبعد ثلاثة عشر عامـــــــــاً كنت فيها عضواً عاملاً في جماعة الأخـوان المسـلمين، وذلك بعد تخرجك من الجامعـة، وأنت تحمل شهادة شيخ!! إلى عدو يرى بغضهم ديناً، ويحـاربهم حـرب الكفـار، بل ويقـدم حربهم على حرب اليهود والنصارى، ويقول فيهم وفي غيرهم ما نقلناه آنفاً..

ومن رجـل كان يرى أن سيد قطب رحمه الله قد هدي إلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله إلى أن وصفته بأنه قد اجتمعت فيه بدع الاثنين والسبعين فرقة، وأنه أخطر أهل البدع بإطلاق.

وأنت في هـذا وهـذا تخـالف ما يـأمر به الـدين من العـدل والإحسـان، وتخـالف في مواقفك هذه عامة علمـاء السـنة الـذين يعتقـدون ويقفـون في هـذه الأمـور غـير ما تعتقد وتقف.. ولماذا تكيل لمن تخالفهم بمكيالين؟

لماذا يا شيخ ربيع كان عبـدالرحمن عبـدالخالق وحـده هو المـدافع عن من تسـميهم أهل البدع؟

ولمـاذا تكيل بمكيالين، وتجعل التقية ديناً، ولا تحكم في أمثال شـيخنا عبـدالعزيز بن باز، وشيخنا الألباني، وعبدالله بن قعود، وابن جبرين، وغيرهم وغيرهم بالحكم الـذي تحكمه في عبدالرحمن بن عبدالخالق؟! لماذا التقية والتلون؟

وهل من منهج أهل السـنة والجماعة في الحكم على الرجـال والفـرق والطوائـف؟! أن يكال للناس بمكيالين، ويوزنون بمـيزانين: مـيزان للضـعفاء ومـيزان للأقويـاء!! ، وأقـــوال في الســـر؟ وأقـــوال في العلن؟ هل هـــذا هو منهج أهل الســـنة والجماعة المزعوم؟

لقد سمي علمـاء السـنة تقـويمهم للرجـال بــ (المـيزان) فسـموا كتبهم في الجـرح والتعــديل (المــيزان، لســان المــيزان) وذلك لأن عملهم يقــوم على وزنالحســنات والسيئات. فهل ميزانك الظالم الذي لا يـرى إلا الشر والبدعـة، ولا يـزن إلا بهـا. هل هـــذا المـــيزان من مـــوازين أهل الســـنة؟ وهل عملك هـــذا يا من تطبع على كتبك التعريف بنفسك بأنك (رئيس قسم السنة) من السنة؟

ثانياً: النصح لكل مسلم من أصول الدين:

والجريمة الثانية: هي نقدي لبعض المواقف والأقوال لبعض من ينتسبون إلى المنهج السـلفي، وكلمـاتي في نقد هـؤلاء أقل كثـيراً مما يـؤثر عن مشـايخ العلم وعلمـاء الدعوة السلفية من أمثال شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ ابن جبرين، والشيخ عبدالله بن قعـود، والشـيخ بكر أبو زيد، وغيرهم وغيرهم...

والعجب أن من أصـــول أهل الســـنة الـــرد على المخـــالف لأن ذلك من النصح لله ورسوله وكتابه، وأئمة المسلمين وعامتهم، وجميع السلفيين يحفظون ويرددون قول الإمام مالك: (ما منا إلا رد ورد عليه إلا صاحب هذا القبر)..

فلماذا كان رد عبدالرحمن بن عبدالخالق على بعض السلفيين ونقده لبعض أعمالهم المخالفة للكتاب والسنة تعتبر نفاقاً، وابتداعاً وخروجاً من السلفية؟!!

1) وهذا شيخنا عبدالعزيز بن باز يقول في بيـان له وموعظة يـرد بها على بعض من ينتسبون إلى السنة والسلفية:

"الحمد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على نبينا محمـد الأمين وعلى آله ومن اتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد..

فإن الله عز وجل يأمـر بالعـدل والإحسـان وينهى عن الظلم والبغي والعـدوان، وقد بعث الله نبيه محمداً صـلى الله عليه وسـلم بما بعث به الرسل جميعـاً من الـدعوة إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، وأمـره بإقامة القسـط، ونهـاه عن ضد ذلك من عبادة غير الله، والتفرق والتشـتت والاعتـداء على حقـوق العبـاد، وقد شـاع في هذا العصر أن كثيراً من المنتسبين إلى العلم والدعوة إلى الخير يقعون في أعراض كثير من أخوانهم الدعاة المشهورين، ويتكلمـون في أعـراض طلبة العلم، والـدعاة، والمحاضرين، ويفعلون ذلك سـراً في مجالسـهم وربما سـجلوه في أشـرطة تنشر على النـاس، وقد يفعلونه علانية في محاضـرات عامة في المسـاجد وهـذا مسـلك مخالف لما أمر الله به رسوله من جهات عديدة منها:

أولاً: أنه تعد على حقـوق النـاس من المسـلمين، بل خاصة النـاس من طلبة العلم والـدعاة الـذين بـذلوا وسـعهم في توعية النـاس وإرشـادهم وتصـحيح عقائـدهم ومناهجهم، واجتهدوا في تنظيم الدروس والمحاضرات، وتأليف الكتب النافعة.

ثانياً: أنه تفريق لوحـدة المسلمين وصفهم، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة والبعد عن الشتات والفرقة.. وكثرة القيل والقال فيما بينهم، وخاصة وأن الدعاة الذين نيل منهم هم من أهل السنة، والجماعة المعروفين بمحاربة البدع والخرافات، والوقـوف في وجه الـداعين إليهـا، وكشف خططهم وألاعيبهم، ولا نـرى مصـلحة في مثل هـذا العمل إلا للأعداء المتربصين من أهل الكفر والنفاق أو من أهل البدع والضلال.

ثالثاً: أن هذا العمل فيه مظـاهرة ومعاونة للمغرضـين من العلمـانيين والمسـتغربين وغـيرهم من الملاحـدة الـذين اشـتهر عنهم الوقيعة في الـدعاة، والكـذب عليهم، والتحريض ضـدهم فيما كتبـوه وسـجلوه، وليس من حق الأخـوة الإسـلامية أن يعين هؤلاء المتعجلون أعداءهم على أخوانهم من طلبة العلم والدعاة وغيرهم.

رابعـاً: إن في ذلك إفسـاداً لقلـوب العامة والخاصـة، ونشـراً وترويجـاً للأكـاذيب والإشـاعات الباطلة وسـبباً في كـثرة الغيبة والنميمـة، وفتح أبـواب الشر على مصاريعها لضعاف النفوس الذين يدأبون على بث الشـبه، وإثـارة الفتن، ويحرصـون على إيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا.

خامساً: أن كثيراً من الكلام الذي قيل لا حقيقة له وإنما هو من التوهمات التي زينها الشيطان لأصحابها، وأغراهم بها، وقد قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً.. الآية}، والمؤمن ينبغي أن يحمل كلام أخيه المسلم على أحسن المحامل، وقد قال بعض السلف: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً.

سادساً: وما وجد من اجتهاد لبعض العلماء، وطلبة العلم فيما يسوغ فيه الاجتهاد فإن صاحبه لا يؤاخذ به، ولا يثرب عليه إذا كان أهلاً للاجتهاد فإن خالفه غيره في ذلك كان الأجدر أن يجادله بالتي هي أحسن حرصاً على الوصول إلى الحق من أقرب طريق، ودفعاً لوساوس الشيطان وتحريشه بين المؤمنين، فإن لم يتيسر ذلك ورأى أحد أنه لا بد من بيان المخالفة، فيكون ذلك بأحسن عبارة، وألطف إشارة، ودون تهجم، أو تجريح، أو شطط في القول قد يدعو إلى رد الحق أو الإعراض عنه، ودون تعرض للأشخاص أو اتهام النيات، أو زيادة في الكلام لا مسوغ لها، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في مثل هذه الأمور: [ما بال أقوام قالوا كذا وكذا]

فالذي انصح به هؤلاء الأخوة الذين وقعوا في أعراض الدعاة، ونالوا منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى مما كتبته أيديهم، أو تلفظت به ألسنتهم مما كان سبباً في إفساد قلوب بعض الشباب، وشحنهم بالأحقاد والضغائن، وشغلهم عن طلب العلم النافع، وعن الدعوة إلى الله بالقيل والقال، والكلام عن فلان وفلان، والبحث عما يعتبرونه أخطاء للآخرين وتصيدها وتكلف ذلك.

كما أنصحهم أن يكفروا عما فعلوا بكتابة أو غيرها مما يبرؤون به أنفسهم من مثل هذا الفعل، ويزيلون ما علق بأذهان من يستمع إليه من قولهم، وأن يقبلوا على الأعمال المثمرة التي تقرب إلى الله، وتكون نافعة للعباد، وأن يحذروا من التعجل في إطلاق التكفير أو التفسيق أو التبديع لغيرهم بغير بينة ولا برهان. قال النبي صلى الله عليه وسلم: [من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما] (متفق عليه)

ومن المشروع لدعاة الحق وطلبة العلم إذا أشكل عليهم أمر من كلام أهل العلم أو غيرهم أن يرجعوا إلى العلماء المعتبرين ويسألوهم عنه ليبينوا لهم جلية الأمر، ويوقفوهم على حقيقته، ويزيلوا ما في أنفسهم من التردد والشبهة عملاً بقول الله عز وجل في سورة النساء: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً}

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً،ويجمع قلوبهم وأعمالهم على التقوى وأن يوفق جميع علماء المسلمين، وجميع دعاة الحق لما يرضيه وينفع عباده، ويجمع كلمتهم على الهدى ويعيذهم من أسباب الفرقة والاختلاف، وينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين"

2) الشيخ بكر أبو زيد وموعظته البليغة:

ولا شك أن أكثر هؤلاء العلماء تصنيفاً في هذه المجموعة وأعمقهم علماً بهم وبأصولهم هو الشيخ العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد -حفظه الله- الذي جمع أصولهم وعرف مقاصدهم وأدرك أخطار منهجهم فكتب فيهم كتاباً فريداً جامعاً سماه (تصنيف الناس بين الظن واليقين)، واكتفى هنا بنقل بعض هذه العبارات..

* يقول الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله:

"وإذا علمت فشو ظاهرة التصنيف الغلابة، وأن إطفاءها واجب، فاعلم أن المحترفين لها سلكوا لتنفيذها طرقاً منها:

* إنك ترى الجراح القصاب كلما مر على ملأ من الدعاة اختار منهم (ذبيحاً) فرماه بقذيفة من هذه الألقاب المرة تمرق من فمه مروق السهم من الرمية، ثم يرميه في الطريق ويقول: أميطوا الأذى عن الطريق فإن ذلك من شعب الإيمان؟؟

* وترى دأبه التربص والترصد: عين للترقب، وأذن للتجسس كل هذا للتحريش، وإشعال نار الفتن بالصالحين وغيرهم.

* وترى هذا (الرمز البغيض) مهموماً بمحاصرة الدعاة بسلسلة طويل ذرعها، وردئ متنها، تجر أثقالاً من الألقاب المنفرة والتهم الفاجرة، ليسلكوا في قطار أهل الأهواء، وضلال أهل القبلة، وجعلهم وقود بلبلة، وحطب اضطراب!!

وبالجملة فهذا (القطيع) هم أسوأ غزاة الأعراض بالأمراض والعض الباطل في غوارب العباد، والتفكه بها، فهم مقرنون بأصفاد: الغل، والحسد، والغيبة، والنميمة، والكذب، والبهت، والإفك، والهمز، واللمز جميعها في نفاذ واحد.

إنهم بحق (رمز الإرادة السيئة يرتعون بها بشهوة جامحة نعوذ بالله من حالهم لا رعوا)" (التصنيف/22-23)

ويقول أيضاً: "وكم جرت هذه المكيدة من قارعة في الديار بتشويه وجه الحق، والوقوف في سبيله، وضرب للدعوة من حدثاء الأسنان في عظماء الرجال باحتقارهم وازدرائهم، والاستخفاف بهم وبعلومهم، وإطفاء مواهبهم، وإثارة الشحناء والبغضاء بينهم، ثم هضم لحقوق المسلمين في دينهم، وعرضهم، وتحجيم لانتشار الدعوة بينهم بل صناع توابيت، تقبر فيها أنفاس الدعاة، ونفائس دعوتهم.. انظر كيف يتهافتون على إطفاء نورها فالله حسيبهم" (التصنيف/24)

وقال أيضاً حفظه الله: "ولا يلتبس هذا الأصل الإسلامي بما تراه مع بليج الصبح وفي غسق الليل من ظهور ضمير أسود وافد من كل فج استعبد نفوساً بضراوة، أراه -تصنيف الناس- وظاهرة عجيب نفوذها هي (رمز الجراحين)، أو (مرض التشكيك وعدم الثقة) حمله فئام غلاظ من الناس يعبدون الله على حرف، فألقوا جلباب الحياء، شغلوا به أغراراً التبس عليهم الأمر فضلوا، وأضلوا، فلبس الجميع أثواب الجرح والتعديل، وتدثروا بشهوة التجريح، ونسج الأحاديث والتعلق بخيوط

الأوهام، فبهـذه الوسـائل ركبـوا ثبج تصـنيف الآخـرين للتشـهير والتنفـير، والصد عن سواء السبيل" (التصنيف/9)

وقــال أيضــاً : "ويا لله كم صــدت هــذه الفتنة العميــاء عن الوقــوف في وجه المد الإلحــادي، والمد الطــرقي، والعبث الأخلاقي، وإعطــاء الفرصة لهم في اســتباحة أخلاقيـات العبـاد، وتـأجيج سـبل الفسـاد والإفسـاد إلى آخر ما تجـره هـذه المكيـدة المهينة من جنايــات على الــدين، وعلى علمائــه، وعلى الأمة وعلى ولاة أمرهــا.. وبالجملة فهي فتنة مضـلة والقـائم بها (مفتـون) و(منشـق) عن جماعة المسـلمين" (التصنيف/29)

وقال أيضاً حفظه الله: "وفي عصـرنا الحاضر يأخذ الـدور في هـذه الفتنة دورته في مسالخ من المنتسبين إلى السنة متلفعين بمرط ينسبونه إلى السـلفية -ظلمـاً لهـا- فنصـبوا أنفسـهم لـرمي الـدعاة بألسـنتهم الفـاجرة المبنية على الحجج الواهيـة، واشتغلوا بضلالة التصنيف" (التصنيف/28)

وقال متوجاً ذلك القول البليغ في هذه المجموعة: "ولكن بلية لا لعاً لهـا، وفتنة وقى الله شــرها حيث ســرت في عصــرنا، ظــاهرة الشـغب هـذه إلى ما شــاء الله من المنتسبين إلى السنة، ودعوى نصـرتها، فاتخـذوا (التصـنيف والتجـريح) دينـاً وديـدناً، فصاروا إلباً إلى أقرانهم من أهل السنة وحرباً على رؤوسهم وعظائمهم، يلحقــونهم الأوصاف المرذولة وينبزونهم بالألقاب المستشـنعة المهزولة حـتى بلغت بهم الحـال أن فــاهوا بقــولتهم عن أخــوانهم في الاعتقــاد والســنة والأثر (هم أضر من اليهــود والنصارى)، و(فلان زنديق)..

وتعـاموا عن كل ما يجتـاب ديـار المسـلمين، ويخـترق آفـاقهم من الكفر والشـرك، والزندقة، والإلحاد، وفتح سبل الإفساد والفسـاد، وما يفد في كل صـباح ومسـاء من مغريات وشـهوات،وأدواء وشـبهات تنتج تكفـير الأمة وتفسـيقها، وإخراجها نشـأً آخر منسلخاً من دينه، وخلقه..

* انشقاق في صفوف أهل السنة لأول مرة في التاريخ:

وهـذا الانشـقاق في صف أهل السـنة لأول مـرة حسـبما نعلم يوجد في المنتسـبين إليهم من يشــاقهم، ويجند نفسه لمثــافنتهم، ويتوسد ذراع الهم لإطفــاء جــذوتهم، والوقوف في طريق دعوتهم وإطلاق العنان للسان يفري في أعراض الـدعاة ويلقي في طــريقهم العوائق في عصــبية طائشــة، فلو رأيتهم مســاكين يــرثى لحــالهم وضـياعهم. وهم يتواثبــون، ويقفــزون، والله أعلم بما يوعــون، لأدركت فيهم الخفة والطيش في أحلام طير، وهذا شأن من يخفق على غير قاعدة، ولو حـاججت الواحد منهم لما رأيت عنده إلا قطعة من الحمـاس يتـدثر بها على غـير بصـيرة، فيصل إلى عقول السذج من باب هذه الظاهرة: الغيرة، نصـرة السـنة، وحـدة الأمـة، وهم أول من يضع رأس المعول لهدمها، وتمزيق شملها" (التصنيف/39-40)

3) ويقول الشـيخ الغنيمـان رئيس قسم العقيـدة في الجامعة الإسـلامية سـابقاً وهو ينكر على أهل التبديع والتصنيف بالهوى:

"أقـول: من نتـائج أفعـال هـؤلاء تبلبلت أفكـار كثـير من الشـباب.. فمنهم من ضل طريق الهدى، وصار يتبع ما يرسمه له هؤلاء النقدة الذين وقفـوا في طريق الـدعوة يصدون عن سبيل الله، ومنهم من صـار لديه بسبب هؤلاء النقدة، فجوة عظيمة بينه وبين العلمـاء، ووحشة كبـيرة فابتعد عنهم.. ومنهم من جعل يصـنف النـاس حسب حصيلته مما يسمع من هؤلاء بأن فلاناً: من الأخـوان لأنه يكلم فلانـاً من الإخـوان، أو يزوره، أو يجلس معه..وأن فلاناً من السروريين..وفلاناً من النفعيين..وهكذا.

والعجب أنهم بهذا يزعمون أنهم يطبقون منهج الجرح والتعديل، وقد اتخذوا في هـذا رؤساء جهالاً فضلوا وأضلوا.

فعلى المسـلم أن يتقي الله في نفسـه، وفي هـؤلاء المسـاكين أربـاع المتعلمين أو أعشارهم.

وفي الحديث الصحيح: [لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم] يعـني خير لك من الـدنيا، فكـذلك من ضل بسـببه رجل واحد فعليه وزر عظيم، وقـال الله تعالى بعدما ذكر قصة قتل ابني آدم لأخيه: {من أجـل ذلك كتبنا على بـني إسـرائيل أنه من قتل نفسـاً بغـير نفس أو فسـاد في الأرض فكأنما قتل النـاس جميعـاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً} (المائدة:32)

وإضلال الإنسان في دينه أعظم من قتله بكثير، والكلام في مسـائل الـدين يجب أن يكون بدليل من كتاب الله وسنة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم، وأن يقصد به وجه الله، وألا يكون ضرره أكـبر من نفعـه، وألا يكـون الحامل عليه الحسد لمعين واتبـاع الهوى" (الهوى وأثره في الخلاف/33-34)

* من أصول الدين الدعوة إلى التعاون بين المسلمين جميعاً واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم!!

أما الجريمة الثالثة لي عند الشـيخ ربيع بن هـادي فهي دعـوتي الدائمة لجمع كلمة المسلمين، وعدم الفرقة، ووجوب التعاون على البر والتقوى بين العاملين للإسـلام، وقد جعل ربيع هـذا الأصل القـرآني من الجـرائم لأنه على حد زعمه يجب تميـيز السلفيين عن غيرهم، ولا يجوز لهم أن يمدوا يد التعـاون على بر وتقـوى مع غـيرهم من الجماعات والأفراد...

وهذا الذي يقوله ويدعيه مناقض لأمر الله بالاجتماع، وعـدم الفرقـة، ومخـالف لعمل كل علماء الإسـلام في كل العصـور، وخاصة أهل السـنة والجماعة الـذين ما سـموا بالجماعة إلا لإنها أصل أصولهم، عملاً بقوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا..}

وبقوله: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينـات} وكل علمـاء الأمة المخلصين دعوا بدعوة الله هذه..

* يقول الشيخ المفسر عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله:

"ومن أهم أمور الجهاد وخصوصا في هذه الأوقات: التعاون بين المسلمين في جميع شؤونهم الدينية والسياسية والاقتصادية واتصال بعضهم ببعض في تحقيق ذلك لأن عددهم كثير وأعداؤهم جادون في الحيلولة بينهم في هذه الأمور وقد تفننوا في تفريقهم وأقاموا الحواجز والسدود في اتصال بعضهم ببعض حتى أوهنوا قواهم وساءت حالهم وهم مجدون في هذا الأمر".

* وجاء في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز:

بعد السؤال التالي: الجماعات والفرق الموجودة الآن -اقصد بها جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ وجماعة أنصار السنة المحمدية.. الخ، هل ينطبق عليها حديث حذيفة فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"؟

والجواب:

"كل من هذه الفرق فيها حق وباطل وخطأ وصواب وبعضها أقرب الى الحق والصواب وأكثر خيرا وأعم نفعا من بعض فعليك أن تتعاون على ما معها من الحق وتنصح لها فيما تراه خطأ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك" ووقع على الفتوى أيضا المشايخ عبد الرزاق عفيفي وعبد الله بن غديان وعبد الله بن قعود.

* وجاء في اجابة اللجنة الدائمة للإفتاء حول السؤال الآتي:

"في العالم الإسلامي اليوم عدة فرق وطرق صوفية مثلا هناك جماعة التبليغ، الاخوان المسلمين، السنيين فما هي الجماعة التي تطبق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟

فأجابت اللجنة:

"أقرب الجماعات الإسلامية الى الحق وأحرصها على تطبيقه أهل السنة وهم أهل الحديث وجماعة أنصار السنة ثم الإخوان المسلمون وبالجملة فكل فرقة من هؤلاء فيها خطأ وصواب فعليك " بالتعاون " معها فيما عندها من الصواب واجتناب ما وقعت فيه من أخطاء مع التناصح والتعاون على البر والتقوى ".

* وجاء في الفتوى رقم (1674) ما نصه:

"على كل جماعة من الجماعات الإسلامية التبليغ، اتحاد الطلبة المسلمين، الاخوان المسلمين الشبان المسلمين، أنصار السنة المحمدية الجمعية الشرعية الخ. أن تتعاون مع الأخرى فيما اتفقوا عليه من الحق وأن تتفاهم معها فيما اختلفوا عسى الله أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل وعلى كل طائفة من هذه الجماعات أن تنصح للأخرى فتثني عليها بما فيها من خير وترشدها إلى ما فيها من خطأ في الأحكام أو انحراف في العقيدة أو الأخلاق أو تقصير في العلم أو البلاغ قصدا للإصلاح وطلبا لاستدراك ما فات لا ذما لها وتعبيرا عسى أن تستجيب لما دعيت إليه فتستكمل نقصها وتصلح شأنها وتجتمع القلوب على الحق وتنهض بنصرته".

* وقـول سـماحة شـيخنا عبد العزيز بن عبد الله ابن بـاز -حفظه الله ورعـاه- وقد سئل: هل تعتبر قيـام جماعـات إسـلامية في البلـدان الإسـلامية لاحتضـان الشـباب وتربيتهم على الإسلام من إيجابيات هذا العصر؟

فأجاب -وفقه الله-:

"وجـود هـذه الجماعـات الإسـلامية فيه خـير للمسـلمين ولكن عليها أن تجتهد في إيضـاح الحق مع دليله وألا تتنـافر بعضـها البعض وأن تجتهد بالتعـاون فيما بينها وأن تحب إحداها الأخرى وتنصح لها وتنشر محاسنها وتحرص على تـرك ما يشـوش بينها وبين غيرها.

ولا مانع أن تكون هناك جماعات إذا كانت تدعوا إلى كتاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم وعليهم أن يترسـموا طريق الحق ويطلبـوه وأن يسـألوا أهل العلم فيما أشكل عليهم وأن يتعاونوا مع الجماعات فيما ينفع المسـلمين بالأدلة الشـرعية لا بالعنف ولا بالسخرية ولكن بالكلمة الطيبة والأسـلوب الحسن وأن يكـون السـلف الصالح قدوتهم والحق دليلهم وأن يهتموا بالعقيدة الصحيحة التي كـان عليها رسـول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم".

* الاتهام بالغلو في السياسة، وفقه الواقع:

أما قول الشيخ ربيع بأنني غال في السياسة وفي فقه الواقـع، فاتهـام سـخيف، فأنا بحمد الله لم أتسـلم في حيـاتي منصـباً سياسـياً، ولا أطمع في شـيء من ذلـك، ولا أتمناه.. وإن كنت أعيش شيئاً من همـوم المسـلمين، وأحـاول أن أعـرف شـيئاً من مكايد أعدائهم فإنني أرى أن هذا من فروض الكفايات، وهـو على مثلي فـرض عين، فإنني أسأل وأقصد، وأخطب، وأفتى، وكل ذلك بحمد الله وتوفيقه..

ولا بد لكل ذلك من علم بواقع الحال، وذلك لأنـزل آيـات القـرآن منازلهـا، وأحـاديث النبي صلى الله عليه وسلم مواقعها.

وما زلت أرى أن جهل المتكلم في الدين بواقع الحال يحرم عليه الكلام والفتيا.

* يفرحون بالسقطات، ويسوؤهم رجوع المسلم إلى الحق:

والشيخ ربيـع يبدو أنه لا مجال عنده لتوبة مهما أظهرت الندم، ولا قبول عنـده لعـذر ولو بالغت في الاعتذار، ولا تصديق عنده لمؤمن ولو حلف بأغلظ الأيمان.

ومنذ ظهور الرسائل المتبادلة بيني وبين سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن بـاز وهو يشيع عني أنني كاذب مخـادع.. ويـروج هـذا سـراً، ثم صـبر عامـاً كـاملاً عن الإعلان عنه.. ثم أعلن ما كان يسره والمقصود ليس إقالة عثرة، ونصح مسلم، ومـؤازرة أخ في اللــه، بل يبــدو أن المقصــود القضــاء على عـــدو!! وإخــراج عبــدالرحمن بن عبدالخالق من السلفية ليكون عرضه مستباحاً، بل ودمه مسـتباحاً.. ولا يتـأثم طلاب العلم الصـغار من شـتمه وتجريحـه، وتنفـير النـاس عنه لأنه يقـال لهم: هـذا الجـرح والكلام في أهل البدع خير من الصلاة، والصوم، والحج!!

* لعله أول كتاب في الإسلام بهدف النميمة:

كتاب الشيخ ربيع بن هادي لعله أول كتاب يؤلف في الإسلام يكون موضوعه النميمة، والسعي بعرض مسلم..

وهذا الكتاب لا يدخل في كتب الردود العلمية بأي صورة من الصور لأنه لا يحمل قضية علمية واحدة في معتقد أو خلاف في حكم شرعي، وإنما الكتاب كله وشاية كاذبة تقول: عبدالرحمن يسبنا.. (عبدالرحمن يمدح أهل البدع)..

وكتاب الشيخ ربيع نموذج صارخ للأصول التي وضعها الشيخ ربيع.. وهذا الكتاب لا يدخل في باب النصح لله، وكتابه ورسوله، وعامة المسلمين وأئمتهم بأي صورة من الصور، وذلك أنه تشهير، وتنفير، واتهام بباطل، وإلزام بأقوال أعلنت براءتي منها، ورجوعي عنها.. ولا يجوز تعيير مسلم ولا التشهير به، ولا تذكيره بما رجع عنه، وتبرأ منه.

* لماذا كتبت لسماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز حول كتاب ربيع؟

وقد كتبت لسماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز بحقيقة الخلاف لأن بعض التنبيهات التي كان قد كتبها إلي أراد بعضهم أن تكون مدخلاً إلى هدمي، وتبديعي، ثم تطبيق منهج الشيخ ربيع في الحكم على الرجال، وكان من هذا الخطاب لسماحته ما يلي:

"سماحة الوالد:

حقيقة الخلاف وخلاصته بيني وبين الشيخ ربيع بن هادي ومن قلده في طريقه.. بل بين علماء السنة في العالم أجمع والشيخ ربيع بن هادي... أن ربيع بن هادي قد خرج على المسلمين بمنهج جديد سماه منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف.

وكان من الأصول التي وضعها لهذا المنهج أن حكم على كل مسلم وقع في بدعة أو ما ظنه بدعة بأنه مبتدع، وأن كل مسلم قال كلمة ظاهرها الكفر فهو كافر، حتى وإن كان القائل قد نفى هذا صريحاً في مكان آخر، وموضع آخر من كلامه، وأنه لا يحمل مطلق على مقيد، ولا مجمل على مفسر، إلا في كلام الله فقط.. وأن كل من حكم هو عليه بالبدعة -حسب هذه المقاييس- فواجب على أهل الإسلام جميعاً هجره، وإبطال ما أحسن فيه، ولو كان جهاداً ونصراً للإسلام وعزاً للمسلمين، ولا يجوز ذكره إلا بما أساء فيه فقط..

وكان من ثمرات هذا المنهج الحكم على طائفة كبيرة من علماء الأمة قديماً وحديثاً بأنهم مبتدعون ضلال لا يجوز قراءة كتبهم، ولا الانتفاع بعلمهم..

وكذلك الحكم على جميع جماعات الدعوة القائمة بأنها جماعات بدعة وضلال، وأنها مخالفة للسنة، وأنها امتداد للفرق الضالة من الخوارج، والروافض، والجهمية، والمرجئة.. ومن أجل ذلك أطلق عليهم كلمات الكفر، ورماهم بالزندقة والإلحاد، والخروج..

وكنت قد ناقشت الشيخ ربيع شفاهاً مرات كثيرة، وسجلت كذلك في منزله مجموعة من الأشرطة في ندوة دعا إليها هو مجموعة كبيرة من طلاب العلم، ونوقشت هذه القضايا..

وكتبت له مرات أخرى، ونصحت له فيما بيني وبينه، ودعوته أن يقتدي بكم وعلماء أهل السنة في موقفكم من كل هذه الأمور، وأرادني هو أن أدخل فيما دخل فيه من تكفير المسلمين بلا مكفر، وتبديعهم بلا مبدع، ورميهم بالعظائم على الظن والتوهم، وحرب العاملين للإسلام، والجزم أنهم أخطر من اليهود والنصارى.. وذكرت له مراراً أن موقفي في هذه الأمور لا يعدو موقف علماء الدعوة السلفية وقاداتها وعلى رأسهم شيخي وأستاذي سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز الذي أجعله قدوة لي في كل هذه الأمور.

ولما يئس أن أدخل فيما دخل هو فيه من التكفير بلا مكفر، والتبديع بلا مبدع، وتضليل سواد الأمة وعوامها، وهدم كل عامل للإسلام يصيب ويخطئ، وقد يجمع عملاً صالحاً وآخر سيئاً، عسى الله أن يتوب عليهم... كان لا بد عند الشيخ ربيع أن يلحقني بمن يبدعهم ويضللهم وينفر الناس عنهم. انتهى

هذه هي خلاصة القضية: لقد أرادوا هدم عبدالرحمن بن عبدالخالق فأوغروا صدر الشيخ ربيع، وأوهموه أنني أدافع عمن يسميهم أهل البدع، وأنني أقدح في أهل السنة.. فكان أن جمع كل سهامه، وألقاها جملة واحدة نحوي. وبالطبع طاشت سهامه، كما طاشت في كل من حاربهم من أهل الخير والصلاح الذين ما استفادوا بحربه إلا عزاً، ورفعة. ولا نال هو من هذه الحرب الخاسرة إلا ضلالاً لسعيه، ولوماً من أهل الحق له..

ومن كان يظن أن يوضع اسم عبدالرحمن بن عبدالخالق على غلاف كتابه وتقوم دوائر متعددة بطبعه ونشره في كل مكان، وليس في الكتاب إلا مظلمة لي واتهام بباطل، وجعل ما هو حسنة سيئة، أسأل الله أن يرزقني الصبر عليها، والعفو عند القدرة عن أصحابها، وأن يجعلها لي عزاً ونصراً في الدنيا، ومغفرة ورفعة في الآخرة، وأن ينصر دينه وكتابه وسنة رسوله، وأن يستعملنا في طاعته وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن؟

* مخاطر منهج الشيخ ربيع في النقد والحكم على الرجال:

وأخيراً فلقد كان من الآثار المدمرة لمنهج ربيع بن هادي المدخلي هذا في النقد ما يأتي:

1) أنه جعل العدل والإحسان والشهادة بالحق والقيام بالقسط الذي أمر الله به في قوله: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم... الآية}.. وقال: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط}.. وقوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} أي عدولا..

جعـل ربيع هذا الأمر بالعدل من منهج المبتدعة، وسمى العـدل الـذي أمر الله به مع النـاس عامة والمسـلمين خاصة بمنهج أهل البـدع، وسـماه (منهج الموازنـات) وأنه ليس منهج أهل الحديث والسنة.

2) أنه جعل التمسك بسقطات الناس وأخطائهم ديناً، وأن الناس لا يوزنون عنـده إلا بهذه الأخطـاء والسـقطات، فـالحكم على النـاس من خلال زلاتهم، وأخطـائهم، وأن كل زلة وخطأ تهدم كل إحسان وبر..

3) لقد أخـرج منهج ربيع في النقد مجموعـات من أهل التكفـير والتفسـيق الـذين ضللوا سـلف الأمـة، وأئمتهـا، وحرقـوا كتب أهل العلم كفتح البـاري لابن حجر رحمه الله، وشرح النـووي لصـحيح الإمـام مسـلم رحمه اللـه، وشـرح العقيـدة الطحاويـة، وغيرها، وهؤلاء هم تلاميذ هذا المنهج الفاسد في النقد والحكم على الرجال.

4) هذا المنهج الفاسد لم يجعل لعالم من علمـاء الإسـلام مكانا في الأمة لأنه يقـوم على تتبع السقطات والزلات والأخطاء، ولا يوجد من له عصمة من ذلك؟

ولما قام تلاميذ الشيخ ربيع بالبحث عن أخطاء من يبدعونه، ويريدون هدمه، كافـأهم الآخرون بالبحث عن أخطاء ربيع، ومن يعظمهم من طلاب العلم، وأصـبح هم الجميع التفتيش عن أخطاء الآخرين... [ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة]..

5) هذا المنهج جرأ صغار طلبة العلم على التطاول في أعراض العلماء والـدعاة إلى الله، والبحث عن أخطائهم، والحال أن هؤلاء الطلاب ما زالوا في مبـدأ الطلب، وقد أدى هـذا إلى انحـــراف كثـير منهم، وتـركهم الـدين، وفسـاد أخلاقهم، وطـويتهم، والعجب أنهم لقنوا أن هذا الثلب والشتم والتجني دين يتقرب به إلى الله.

6) لقد أدى منهج ربيع هـــــذا المخـــترع في النقد إلى تشـــويه منهج أهل الســـنة والجماعة عند من لا يفهـم طريقة أهل السـنة في العـدل والإحسـان، وظن الجاهل بمنـاهج علمـاء السـنة أن منهج أهل السـنة هو السب والتشـهير والـرمي بالبدعة بلا مبدع، وتتبع سقطات الناس وزلاتهم، فانصرف كثير من الناس عن منهج أهل السـنة والجماعة.

7) لقد أوقع هـذا المنهج الباطل أتباعه في التنـاقض والكيل بمكيـالين، والحكم في المسألة الواحدة بقولين متناقضين، ولذلك أصبح كثير منهم من أهل التقية والكذب، فلهم أقوال في السر يبدعون بها سادات الناس لا يستطيعون قولها في العلن!!

7) لقد أدى هذا المنهج الباطل في النقـد، والتجـريح إلى انطمـاس بصـائر كثـير من طلاب العلم، حـتى أنهم أصـبحوا يقفـون في صف أعـداء الإسـلام ضد إخـوانهم المسلمين.

9) لقد أوقع هذا المنهج من الفرقة في أهل الإسلام عامة، وأهل السنة منهم خاصة ما لم يحدثه أي منهج آخر حيث أنه يقيم الـولاء والـبراء على مسـائل محـدودة من فروع الدين... بل إنه جعل السـلفي هو من يقـول بكـذا وكـذا، ويخـرج المسـلم من السنة، واتباع منهج السلف إذا خالف في مسألة واحدة من مسائل الرأي والاجتهاد..

ويوجب البراء منه بذلك!! وقد كان تدميره الأشد في السـلفيين خاصة فقد فـرقتهم جماعات و أحزاباً و أهواءً.

10) لقد أدى هذا المنهج إلى انشـغال المسـلمين عن حـرب أعـداء الله والكـافرين والمنافقين، وشغل الدعاة إلى الله بالـدفاع عن أنفسـهم وبـالردود المسـتمرة على سـيل الشـبهات، والأكـاذيب، والافـتراءات الـتي بـاتت توجه إليهم، وبـذلك خلا الجو لأعداء المسلمين من الكفار،والعلمانيين، والمنافقين، وجميع خصوم الإسلام..

هذه عشر كاملة من المفاسد والشرور الـتي أفرزها هــذا المنهج الباطـل.. ولا شك أن كل مروج له يتحمل ما يتحمل من وزره ووزر من يتبعه فيه إلى يوم القيامة!!

* هذه الفتنة إلى أين؟

وبالرغم من أننا نرى مدى الفساد الذي أحدثه هذا المنهج الفاسد إلا أننا نـرى بحـول الله وقوته أنه إلى ضلال وأن نهايته قد باتت وشيكة، ونختم بكلمـات من عـالم لعله ينظر بنور الله فيقول عن نهاية هذه الظاهرة التي يسميها (وعكة):

"لكن مما يطمئن أن هذه (وعكـة) مصـيرها إلى الاضـمحلال و (لوثة وافـدة) تنطفي عن قريب، وعودة (المنشقين) إلى جماعة المسلمين أن تعلم:

أن هذا التبدد يعيش في أفراد بلا أتباع، وصدق الله: {وما للظالمين من أنصار}..

* ومن صالح الدعاء: {ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين}..

* وقوله تعالى: {رب فلا تجعلني في القوم الظالمين}..

* وأن هؤلاء الأفراد يسيرون بلا قضـية.. وأن جـولانهم: هو من فـزع وثبة الانشـقاق، ولهذا تلمس فيهم (زعارة)، وقلة توفيق..

فلا بد -بإذن الله تعالى- أن تخبو هـذه اللوثـة، ويتقلص ظلها وتنكتم أنفاسـها، ويعـود (المنشق) تائباً إلى صف جماعة المسلمين، تالياً قـول الله تعـالى: {رب نجـني من القوم الظالمين}" (بكر أبو زيد-التصنيف/41)

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الـذين سـبقونا بالإيمـان ولا تجعل في قلوبنا غلا للـذين آمنـوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

****

****

*****